

هاني حبيب

في القومية

والوحدة

والثورة العربية



منتشورات



1986

تونس



في القوميت والوحدة والثورة العربيّة

هاخ حيب

لقد دأب المفكرون العرب على تناول العناصر الثلاثة ، موضوع بحثنا ، القومية والوحدة والثورة العربية مجزأة كعناصر للبحث مستقلة منفصلة وكانهم يكرسون بذلك واقع التجزئة الذي تعيشه الأمة العربية ، وهذا ما الح علي ومنذ زمن لتناول هذا البحث .

ان القومية والوحدة والثورة العربية بالنسبة لنا كعرب تشكل وحدة متكاملة شاملة لا تقبل التجزئة لان القومية والوحدة والثورة ، بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ما هي الا عناصر تكون المعادلة التالية :

قومية + وحدة + ثورة ← شعب ووطن واحد

دعنا نختصر « القومية والوحدة والثورة » أي العوامل الثلاثة المكونة لمعادلتنا بعبارة واحدة وهي « الوحدة العربية » لان الوحدة العربية ما هي الا نتيجة للتفاعل الثوري بين الشعور القومي والثورة ، او بعبارة اخرى هي حصيلة وعي قومي مصري شامل ينصهر ، بفعل حركة ثورية في اطار تاريخي يحمل مقومات الشخصية العربية بكل ما ألم بها من نصر وهزيمة ومخضبا بالمعاناة التي المت بالامة العربية والارض العربية التي تعرضت للتشتت والضياع والتجزئة وللغزوات على مدى الف عام . ان التاريخ هو الذي صنع الحاضر الذي نعيشه بابعاده :

التجزئة والتخلف الاقتصادي والفكري، والتمزق الاجتماعي والروحي والقومي ، والاستفلال والاحتلال والتشرد والهزيمة .

وينتابني شعور مغلف بالحزن والاسى عندما اقرا مقالات حول القومية والوحدة العربية جميلة ومدبجة بكلمات وعبارات انيقة وسلسلة، ولكن ما يحزنني فيها انها في مجملها تنصب على برهان بديهية اننا امة عربية واحدة ووطن عربي واحد ونتمي الى قومية واحدة . اننا في هذا نبرهن على صحة بديهيات اشبعها الرواد القوميون العرب بحثا وتعليلًا منذ القرن التاسع عشر حتى اصبحت واقعا عربيا سياسيا واجتماعيا لا جدل فيه اليوم وخاصة بعد ان حدها حزب البعث العربي الاشتراكي (وحدة حرية اشتراكية) بصورة لا تقبل الجدل . واذا كان الواقع هكذا فلا اجد مبررا للبكاء على الاطلال . دعونا ننتقل الى فهم الواقع العربي وتحديد العوائق والسلبيات التي تحول دون تحقيق الوحدة العربية والايجابيات التي تقربنا من هذا الهدف كعوامل منبثقة عن واقع الامة العربية كشعب وكوطن وكتيار او تيارات اجتماعية وسياسية تعبت بهذه الامة حاضرا ومستقبلا .

لا اعتقد ان امة من الامم عانت وتعاني من تناقضات كالتى تحياها امتنا ووحدتنا العربية . ان العرب كأمة ، يعترفون قولاً وعاطفة وفي ازمات

الفرح والهوان بانهم امة واحدة تعيش في وطن واحد ويؤمنون بوحدة الماضي والمضير المشترك . ان في هذا تناقضا ولازالة الابهام والتناقض يتوجب علينا ابراز مكونات هذا التناقض . نحن امة واحدة تعيش على وطن واحد ويواجهنا مصير واحد مشترك ولكننا ومع كل اسف نعيش شعوبا بل امة تعيش الامها ومعاناتها منفردة ، على اوطان لها حدودها وتمتع بسيادات متنافرة تفرضها انايات اقليمية تتجذر وتعمق اصولها مع الزمن . انا امة عربية توجهها نظم سياسية متباينة في جوهرها تجمع كل النظم السياسية التي عرفتھا المجتمعات البشرية المنظمة . امة تعاني كل ما عرفته امة الارض عبر التاريخ من اذلال وسيطرة استعمارية مباشرة وغير مباشرة ، واستقلال انساني واقتصادي واجتماعي وسياسي ان الوطن العربي يخضع لسيطرة استعمارية مباشرة وغير مباشرة ، حديثة وقديمة ، ولكل انواع الاستعمار واساليب الاستغلال التي ابتكرتها الجماعات السياسية الاستعمارية المستغلة . ورغم ذلك نجد ان نظاما عربية تقدمية ثورية تحكم جزءا من الوطن العربي ومن هذه الامة غير الموحدة ولكن تلك النظم تتعرض هي الاخرى لحركة اجهاض مستمرة تشنها القوى المضادة قوميا المتمثلة بقوى التخلف الداخلية وقوى خارجية متمثلة بالاستعمار باشكاله وانواعه وعلى اختلاف مشاربه . وتلف هذا الوطن وهذه الامة حقيقة تاريخية مفادها ان التاريخ لا يعترف للشعوب بالمكان الوسط ، وما التاريخ الا صراعا بين القوي والقوي وبينهما ينصهر الضعيف . التاريخ حركة مستمرة وثورة تحركها الشعوب لتحمي نفسها من السقوط ، اداتها القوة ومن استعصى عليه امتلاكها سقط في ثنايا النسيان والاهمال ولا بد ان يعيش حياة التخلف والعبودية والتسلط والنفزو . التاريخ حركة استعلائية دائمة ينتصر فيها القوي وتخسر فيها الامم المستضعفة .

ومن اجل تحديد التناقضات التي نعيشها كعرب ، وتحديد المواقف التي نواجهها كامة سننتعرض في بحثنا الى العوامل المعادية الداخلية والخارجية التي تعزقنا كامة وكوطن :

العوامل الداخلية

يعيش العرب اذن في تناقضاتهم الخائفة . انهم امة واحدة ولكنهم يتصرفون وكأنهم امة متعددة . ان الوطن العربي وطن واحد ولكن العرب يعيشون في اوطان ودويلات ودول . انهم قومية واحدة ولكنهم يتعاملون كقوميات متباينة متحاربة في تناقضاتها . انهم يكونون قوة اقتصادية موحدة متكاملة ولكنهم في واقع الامر قوى اقتصادية لصالح اعدائهم ، مسخرة لقتل العرب وتكريس عبوديتهم واستعمارهم وتخلفهم والامعان في هزيمتهم وتجاهلهم بين الشعوب .

اذا كان هذا هو الواقع العربي قولا وفعلا فما هي اسباب هذه التناقضات العربية اذن ؟؟

ان الانسان هو العامل الوحيد الذي تركز عليه مفاهيم القومية والوحدة والثورة لانه لا قومية دون انسان قومي ، ولا ثورة دون ثوريين ، ولا وحدة دون انسان قومي ثوري ، فما موقف الانسان العربي بصفته شعبا ونظاما سياسيا ؟؟

الشعب العربي والوحدة العربية

لا اعتقد ان امة من الامم او شعبا من الشعوب يعيش على وطن واحد اجمع وآمن بوحده وماضيه ومصيره المشترك كما يؤمن الفرد العربي وبالتالي الغالبية العظمى للشعب العربي بحيث تكفي في الاطار الديمقراطي الحر لاختيار الوحدة العربية كنظام سياسي واجتماعي ، فما المصيبة في ارض عربية او شعب عربي الا ونزفت لها قلوب العرب في جميع ارجاء الوطن العربي الكبير وندبها شعراؤه وادباؤه وبكاها ابناؤه ، وما حقق قطر عربي نصرا الا وخفقت له قلوب العرب طربا سواء في الوطن العربي او بلاد الغربية .

فالعرب اذن كأمة واحدة متحدون في مشاعرهم وعواطفهم وقلوبهم وآمالهم ولكن وحدة العواطف والآمال قد لا تمثل الحد الأدنى المطلوب لبلوغ المستوى الثوري الذي تتطلبه وحدة الأمة والوطن . لان الخطوة الاولى نحو الوحدة تتطلب صنع الانسان العربي القومي الثوري العامل الاهم في صنع القرار السياسي القومي الكبير ولان الأمة هي مجموعة افراد صهرتهم وحدة الارض وقومية التاريخ والآمال والمصير المشترك .

النظم السياسية العربية والوحدة العربية

ان الوطن العربي سلة تتجمع فيها جميع النظم السياسية التي عرفها الانسان منذ العصر القبلي الى يومنا هذا . ان الغالبية العظمى من الاقطار العربية ، بأنظمتها السياسية ، غير قادرة وغير مؤهلة لزوج مألديها من اسلحة فعالة وقائلة في حرب الوحدة العربية الشاملة لان تلك الانظمة لا تملك من شأنها شيئاً ولا تملك حرية اتخاذ قراراتها السياسية القومية . ان اربع دول عربية منتجة للبتروول صدرت الى اسواق الامبريالية العالمية في العام ١٩٨٠ (٢٤) مليون برميل من البتروول يوميا ومازالت تصدر نفس هذه الكمية يوميا الى اعداء الوحدة العربية وبقيمة بلغت حوالي (١٥٠) مليار دولار . ان المبالغ التي تحتاجها تلك الدول لتمويل حيزانياتها العادية للعام ١٩٨١ لا تحتاج لتصدير اكثر من ٤ ملايين برميل ، وفي هذه الحالة فهي ليست مضطرة لتصدير بترولها للعدو لان السوق الدولية الاخرى تمتص اضعاف هذه الكمية وببسر . ان هذه الحالة تعكس الحقيقة السياسية لتلك النظم التي لا تملك حرية اتخاذ قرارها السياسي ولا تملك بالتالي القدرة على تحديد كمية انتاجها من ثرواتها الطبيعية بالقدر الذي يتناسب مع نفقاتها السنوية والقدرة على امتصاص دخولها ، في اطارها الاقليمي ، لان القرار النهائي في هذا الشأن يتخذه الامبريالية العالمية التي تفرض هيمنتها على مقدرات الوطن العربي . ان تلك الانظمة لا تملك حتى القدرة على المطالبة بشمن بترولها المصدر عنوة عن ارادة الأمة العربية . ان المبالغ التي تحصل عليها مقننة بمقدار ما يكفي تنفيذ الاهداف المحددة مسبقا من قبل الامبريالية العالمية صاحبة القرار

في هذه اللعبة . واذا كان هذا هو واقع الانظمة السياسية العربية فهل يعقل ان نخوض حرب الوحدة العربية بمعارك منفصلة. وكيف يمكن لنا ان نبدأ بمعركة قومية كمعركة تحرير فلسطين والاراضي العربية المحتلة ومعركة التحرير هذه تطلب منا ان نخصص اقل من ٤ بالمائة من قيمة صادرات سلعة واحدة هي البترول ، ولكننا عاجزون عن استخدام حتى هذه النسبة الضئيلة في معركتنا كي نضمن النصر . لماذا ؟؟ لان سلاحنا العربي لا نملك القدرة الفعلية على استخدامه لانه يخضع لاحتلال عدونا الذي نقاتله على ارض فلسطين .

اننا نركز دائما على ساحة الوطن العربي ، بيننا كعرب ، وفي المحافل الدولية على ان القضية الفلسطينية هي محور القضايا وهي المشكلة الاساسية التي نواجهها في هذا العصر . كامة ، ورغم قناعاتي بهذه المقولة الا انها صحيحة فقط اذا ما عزلنا قضية فلسطين وقضية الغزو والاحتلال الصهيوني والامبريالي لارض فلسطين وارض دول عربية اخرى عن مشكلة العرب الرئيسية او الاساسية وهي مشكلة الالواحدة العربية ، مشكلة التجزئة ، مشكلة تعدد الشعوب واللا امة ، مشكلة الاقليمية التي بدأت تتجذر في اعماق وطننا العربي الطيب الذي حكمته على مدى التاريخ مفاهيم فلسفية انسانية في مضمونها وشمولها ، ورسالات سماوية انزلت للناس جميعا والبشرية قاطبة وتنكرت لكل مظاهر الاقليمية . ونقدم هذا المنطق اساسا لفهم دور مؤتمرات القمة العربية في جمع الصف العربي التي لا تخرج في فائدتها القومية عن تنفيذ هدف تكتيكي في معركة شبه قومية . ولكم كانت تدهشني مقالات مديحة ملاي بالتفاؤل بان تلك المؤتمرات ستقدم الوحدة العربية على طبق من ذهب كالذي يتناول عليه ملوك وامراء العرب طعامهم لان هؤلاء لا يملكون الوحدة العربية كما انها ليست قطعة حلوى على اطباقهم الذهبية لان الوحدة العربية هي مزيج من دماء الشهداء ، وخيام اللاجئين ، ودموع اليتامى والشكالى ، راحة اداة الصمود ، ودرع المحارب وحمم النسور المقاتلة . انه القرار الذي ينبع من وطن هؤلاء جميعا . ينبع من سورية مثلا التي تقدم كل التضحيات والتي هي على استعداد للعطاء . انه قرار ازلي يأتي صدى من شهداء

الجزائر لان ثورتهم كانت الخطوة الصحيحة في الحرب العربية الشاملة من اجل الوحدة العربية ، ولان دماء المليون شهيد هي وحدها القادرة على ارواء شجرة الوحدة العربية ، واذا اردنا فلتعانق رمال الصحراء العربية بشموخها واصالتها وعنفوانها ذرى « الاوراس » ولتنهض تلك الرمال بجبروتها وعزتها وابائها وشممها وتقضي على الحشرات القريبة التي تتدثر بكل حبة منها لانه هناك اجنبي غاز تحت كل حبة رمل من رمال صحرائنا الطاهرة بشكل او باخر .

ان هذه الحقيقة تدعوني لتكرار النص التالي الذي تضمنته دراسة لي نشرت في مجلة المناضل بعدها رقم ١١٣ تاريخ ايلول ١٩٧٨ بعنوان « دور العربي في السياسة الدولية » والذي بدأ بالسؤال التالي :

يعتقدنا ان العناصر المكونة لاستراتيجية عربية شاملة هي :

- ١ - البترول العربي .
- ٢ - قومية المعركة .
- ٣ - الانسان العربي الثوري .

ومن هذه العناصر الثلاثة معادلتنا البترولية التالية :

البترول العربي + قومية المعركة + الانسان العربي الثوري ← يعطي استراتيجية عربية شاملة (تحرير + تنمية) .

لقد ادركت الولايات المتحدة الامريكية اهمية العنصر الاول (البترول العربي) واهمية دوره في تخطيط السياسة الدولية وهددت اكثر من مرة باحتلال حقول النفط العربية في اللحظات التي يصبح فيها التهديد بالخطر ضروريا كما ان الدبلوماسية الامريكية النشطة كانت البديل العملي لسياسة التهديد بالاحتلال . ولقد نجحت امريكا حقا في عزل قضية الشرق الاوسط بعيدا عن قضية البترول العربي والعالم الصناعي ، ونجحت بالتالي في عزل العوامل المكونة لمعادلتنا واجهاض الاستراتيجية

العربية الشاملة كما حددناها قبل ان تولد . فالبتروول العربي ، العنصر الاول ، حولته الراسمالية الى بتروول عربي من حيث المولد او المنبت ، واعجمي من حيث الممارسات الحقيقية والدور الذي يؤديه لهذا الوطن المنكوب . انه حاضر مهاجر ، في بلاد العم سام وبلاد الانكلو ساكسون بلاد الغربية ، والمطلوب من الشعب العربي ان يمارس حقه الطبيعي في تحرير هذا الوليد من عبودية الراسمالية العالمية .

اما قومية المعركة ، العنصر الثاني ، فانه لمن الواضح ان العائدات البتروولية الفائضة والتي تعجز دول البتروول العربية عن امتصاصها تبلغ حوالي (٥٠) مليار دولار سنويا بدءا من العام ١٩٧٧ ويساوي هذا المبلغ حوالي ٢٠ ضعفا لما تستطيع اسرائيل زجه سنويا من أموال في ميدان التسلح العسكري كما ان الولايات المتحدة التي يعاني ميزان مدفوعاتها عجزا سنويا يزيد على ٢٥ مليار دولار ، عاجزة عن تمويل ميكانيكية حرب جديدة في الشرق الاوسط يهيء لها العرب بكامل طاقتهم خلال سنتين او ثلاث سنوات في الوقت الذي تقدر فيه تكاليف كل طرف بما يزيد على ١٥ مليار دولار اسبوعيا .

اما العنصر الثالث ، الانسان العربي الثوري ، فلقد اثبتت الاحداث التي تلت حرب تشرين ان مصلحة النظم السياسية العربية لا ترقى الى مستوى الثورية التي تتطلبها معادلتنا مما يجعل حكما العوامل الاخرى معادلة للصفر .

فالعرب اذن امة مستعمرة . مستعمرة اقتصاديا ومحصلة نظمها السياسية دون المستوى الثوري ، وما احوج هذه الامة الى معركة تحرير تبدأ بالانسان اولا العنصر الرئيسي في انطلاقة هذا الوطن .

ان استراتيجيتنا العربية اذن استراتيجية واقعية بل هي كالتالي -
تنمو بدون نسب وتنتظر امة تبناها قبل ان يهرم ويفوت الاوان ، وما اشبه هذا اللقيط العربي الاسود بفارس الفوارس عنتر بن شداد ،

القوة القتالية الجبارة والفراس الذي حمى الحمى ورعب الاعداء واعتزت به قبيلته وتيم عبلة معشوقته ولكن ظروفها اجتماعية قاهرة حالت دون اعتراف ابيه ببنوته الى ان جاء ذلك اليوم الذي اعترف الوالد فيه بولده .

فهل يأتي ذلك اليوم الذي ستقهر فيه امتنا العربية قيودها وتعترف بعروبة بترونها؟؟

وباعتقادي ان حربنا من اجل الوحدة حرب شاملة ساحتها الوطن العربي من المحيط الى الخليج ومن البحر الابيض المتوسط شمالا الى بحر العرب جنوبا . ولقد اغتيلت القومية العربية ، ركيزة الوحدة العربية ، على يد الفرس بانتصار العباسيين على ابناء عمومته الامويين وتأسيس حكمهم الذي ادخل العنصر الشعبي كعامل منافس للقومية العربية وجعله في وضع متوازن معها . واغتيلت الوحدة العربية باغتيال الخليفة العباسي المتوكل نتيجة لاختلال التوازن بين الشعبوية والقومية العربية لصالح الاولى . وانهارت بذلك الحين الوحدة العربية وسادت التجزئة، وتأسست الدويلات والدول والامارات والممالك ، وفشلت جميع المحاولات التي قادها رجال قوميون عرب لإعادة توحيد الوطن العربي وبناء الامبراطورية العربية المنهارة واعادة مجدها . ويرجع السبب الرئيسي لهذا الفشل ظهور انظمة سياسية جديدة تديرها عناصر شعبية وجدت في دويلاتها انتصارا لوجودها وتكريسا للتجزئة والانعزالية ومانعا للوحدة العربية وحائلا دون الانبعث العربي القومي ، مبعث الوحدة العربية .

- ٢ -

العوامل الخارجية

ان التاريخ السياسي مسيرة دائمة نحو التقدم والامثل ، تتشابك فيها الاحداث حتى انها تبدو للمرء متمثلة رغم تراكم الايام . وان تماثل الاحداث التاريخية صحيح اذا افترضنا ان الوجود تحكمه قوانين ثابتة ،

ولكن الواقع مغاير لهذا الافتراض لان التاريخ تحكمه قوانين ديناميكية ذات حركة تصاعدية هي محصلة التناقضات الفلسفية والنزعات الفردية والقومية للامم التي تتصارع في هذا العالم وعلى مدى التاريخ ، علما بأن التجمعات البشرية ، التي يطلق عليها امم ، تشكل في تكوينها ايضا حركة ديناميكية متغيرة ، بفعل الزمن والظروف السياسية الدولية ، تقبل التفكك الى كتل اجتماعية صغيرة تقبل الانصهار في كتل او اقوام بشرية معادية ، ولكن ذلك يحصل في الامد الطويل فقط . وتترامى لنا الاحداث متباينة بسبب ديناميكية الزمان واختلاف ادوات السيطرة والاحكام وتوجيهها لتلك الاحداث . ورغم هذه الحقيقة التاريخية المطلقة فان هناك عنصرا واحدا يتصف بالثبات والديمومة النسبية . انه يتبدل كالوجود ولكنه يتبدل فقط في الامد الطويل وهو النزوع للسيطرة والاستغلال واستعباد الشعوب . انه نزعة عنصرية متأصلة لدى جماعة سياسية معينة تتوارثها تلك الجماعة عبر التاريخ حتى انها اخذت مع الزمن اطارا سياسيا متكاملا ووصلت الى ارقى واعلى تنظيم سياسي محكم لها اليوم هي الامبريالية العالمية المعاصرة .

واستكمالا لهذه المقدمة يقتضي القول بان الصراع التاريخي بين المستغلين والمستغلين تطور من صراع ينتهي بتغلب قوة واحدة وزوال ماعداها ، الى عصر نعيش فيه ، عصر توازن الرعب ، يتحقق فيه توازن مدمر بين القوتين الاعظم وتنعدم فيه احتمالات احتكار القوة المطلقة ومصادر السيطرة والتحكم في هذا العالم من قبل طرف واحد حتى نجزم القول على ان طبيعة الصراع بين القوتين الاعظم تنصب على التسابق في تطوير القوة وتعزيزها واستحداثها كأداة للدمار الشامل المستحيل وليس للمواجهة المستحيلة . ان لعبة العصر تقبل تبادل المواقع على لوحة الشطرنج ، الكرة الارضية ، على ان لا تحتك عناصر اللعبة ولا يسوت « الشاه » . ان ما يميز صراع القوتين الاعظم في هذا العصر عن الصراع في عمق التاريخ ان واقع العصر ، واحتمالات الدمار الشامل ، يقبل بتعدد القوى مما يمنح الامة العربية فرصة لدخول نادي قوى توازن الرعب اذا قدر لها ان تستغل وتستثمر مقومات التطور والثروة البشرية والطبيعية الهائلة لديها والتي لا تتوفر لدى امة اخرى من الامم في هذا العصر .

النضال من اجل الوحدة العربية « حرب قومية شاملة »

انهارت الوحدة العربية ، في زحام الصراع الدولي بقتل « المتروكل » الخليفة العباسي ومنذ ذلك الحين والقوى المعادية تشن حربا ضدالوحدة العربية ، ومهما تبدلت تلك القوى ، فهي مستمرة في هذه الحرب ، سواء تحسس العرب هذه الحقيقة أم لا ، فان اعداء الوحدة يعيشونها ويخططون لها معركة اثر معركة ويستخدمون في معاركهم المتلاحقة جميع الاسلحة الشعبوية ، والصليبية ، والخلافة الاسلامية (العثمانيون وزعامة المسلمين) ، وتمويل شق قناة السويس ، والمحافظة على الرجل المريض ، وحماية الخلافة العثمانية ونصرتها على محمد علي وابنه اسماعيل اللذين حاولا بناء دولة من مصر وبلاد الشام كنواة لامبراطورية عربية بزعامة اسرة البانية ، ووضع الوطن العربي تحت انتداب الدول الامبريالية المنتصرة في الحرب العالمية الاولى ، واقامة انظمة سياسية في شخصية زعماء قبائل عربية تتحكم باسم الامبريالية العالمية وبالمقابل يملك هؤلاء القصور والقوت اليومي ، وزرع الكيان الصهيوني في فلسطين ، واستقدام الصهيونية واستغلالها في حربهم ضد الوحدة العربية وغرزها خنجرا مسموما في نحر الامة العربية نازفا من دمها ، وتحطيم وحدة سورية ومصر ، وشن معارك لقتل ايجابيات النهضة او الروح الثورية التي اجنحت بلاد الشام ومصر وتثبيط همم الثوار ، وقتل عبد الناصر الثائر العربي ، وتنصيب خليفة للشورة المصرية ولقائدها عميلا اذل العرب والقومية العربية واعلن الحرب ضد الوحدة العربية وانضم الى الصهيونية والامبريالية انتصر لهم على امته .

الصهيونية : اهي اداة أم شريك أم عميل للامبريالية العالمية ؟

للامبريالية العالمية ، وعلى مدى تطورها عبر التاريخ ، محاولات مستميتة لاختضاع الوطن العربي لنفوذها واستعمارها . ولقد عللت حملاتها تارة باسم الدين واخرى باسم الانتداب وتأهيل الشعب العربي

لممارسة السلطة والحكم ، وعلى صورة الاستعمار الحديث ، والاستعمار الاقتصادي ، والتأرجح بينهما تبعا للظروف .

واستقدمت الامبريالية الصهيونية الى الوطن العربي لاحدى الاساليب التجريبية في الوقت الذي تمكنت فيه من وضعه تحت احتلالها واستغلالها المباشر . وهيات لغرس شجرة الصهيونية في قلب الوطن العربي والامة العربية خلال النصف الاول من القرن الحالي . ولقد تم توقيت اعلان قيام الكيان الصهيوني في فلسطين مع توقيت تطوير الاستعمار وانتقاله من شكله القديم الى الحديث القائم على سحب قوات الغزو الامبريالي وتسليم السلطة الى انظمة سياسية محلية عميلة تحكم بالنيابة .

ويمثل الكيان الصهيوني الذراع الطويلة في الوطن العربي ، بغياب العصا العربية الغليظة ، ومصدر قلق وعدم استقرار دائم لان الثورة العربية مستمرة حتى تتحرر فلسطين من الصهيونية . وطورت الامبريالية - الكيان الصهيوني ، بغياب الشعور القومي العربي المشترك بالمسؤولية التاريخية ، الى قاعدة عسكرية عنصرية وغدتها بأحدث مبتكرات التكنولوجيا العسكرية واكثر الاسلحة الفتاكة تطورا ، وربطتها بأجهزتها التجسسية « والامنية » وصنعت منها دولة ذرية وسخرت لها كل طاقاتها السياسية والاقتصادية والعسكرية ، وهياتها لتكون مصدر قلق دائم في منطقة عرفت على مدى التاريخ بأنها منبع الحضارة والفكر القومي الوحدوي الثوري المنظم وهي بلاد الشام .

لقد وهبت الامبريالية العالمية الصهيونية « وطنا قوميا » واستغلت مخططات الصهيونية العنصرية الاجرامية وتطلعاتها التي حددها مؤتمر « بال » في العام ١٨٩٧ بالعودة الى ما يدعى « ارض الميعاد » وقدمت ، وتقدم لها اسباب البقاء في الارض العربية متحدية بذلك التاريخ ، والاعراف الدولية ، وحقوق الشعب العربي بالعيش على ارضه ، وميثاق منظمة الامم المتحدة ، والقانون الدولي مقابل الخدمات الثمينة التالية التي يقدمها الكيان الصهيوني للامبريالية العالمية :

– تشريد الشعب العربي والمحافظة على تجزئته ومنع وحدته
والامعان في تجزئة دويلاته الى ممالك شبيهة والتي عرفها الوطن العربي
في عهد الممالك ليهل على الامبريالية استغلاله وعلى الصهيونية
احتلاله .

– ابقاء الوطن العربي في حالة التخلف الاقتصادي والاجتماعي
والتقني ، وذلك بتدمير خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية العربية
في مهدها . واثارة عدم الاستقرار السياسي والامني لمنع العرب من تنفيذ
مشاريع التنمية .

– تدمير اية محاولة عربية جادة لبناء صناعة عسكرية ، وخاصة
ذرية ، لتحقيق التوازن والتفوق العسكري على الصهيونية والامبريالية .

– المحافظة على الوضع السياسي العربي الراهن المشتت لكي يسهل
على الامبريالية استنزاف ثروات الوطن العربي الطائلة .

– الامعان في الاحباط النفسي للشعب العربي ، واثارة اليأس من
قدرته في تصحيح الاوضاع الفاسدة وخاصة السياسية منها وبناء الذات
على أسس قومية ثورية .

– قيادة حلف ، تحت اشراف الامبريالية العالمية ، من العملاء
العرب .

– تاهيلها كقوة ردع ضد القوى الثورية والتقدمية ولصالح الامبريالية
العالمية .

(١) انظر دراسة معمقة حول الصهيونية نشرها كاتب هذا البحث في مجلة « الفرسان
الفكري والسياسي » بعددها الصادر في تموز ١٩٧٨ .

في مواجهة الانسان العربي الثوري

جيل ما قبل البترول :

لقد عاش شعبنا العربي في شبه الجزيرة العربية ، بصحاريها الواسعة وشواطئها الممتدة والمطلّة على البحر الاحمر والخليج العربي وبحر العرب، حياة بدوية رعوية متنقلة ، صعبة المراس ، خشنة العيش . وبعض هؤلاء ، وبحكم توأجدهم على ضفاف الخليج العربي وبحر العرب امتهنوا صيد السمك واللؤلؤ ، وركوب البحار والتجارة مع الدول والجزر والتجمعات البشرية في اعماق المحيط الهندي وبحر العرب ، ووصلت مراكبهم الشراعية وتجارتهم الى جنوب الفيلبين مرورا بالهند وسريلانكا وجزر المالديف وماليزيا واندونيسيا ، وطافوا سواحل القارة الافريقية وكانوا حقا اسيااد البحار والمحيطات ونقلوا الحضارة العربية ونشروا رسالة الاسلام في قارتي آسيا وافريقيا ، وما زالت آثارهم خالدة مع الزمن تشهد لهم بالعزة والسيادة وبماضي مجيد وعريق . ولقد كانت هذه النشاطات الاقتصادية موضع اهتمامهم الرئيسي مما شغلهم عن مراقبة وفهم ما يجري حولهم وما يحاك من قبل الامبريالية العالمية لديارهم . ولقد فوجيء هذا الجيل بالمستعمرين الاوربيين يقدمون لهم اغراءات عريضة وآمالا تشبه الاحلام سرعان ما تحولت الى ذهب حقيقي وقصور هيات لهم رغد العيش وحياة لم يعتادوها ، وزوارق للخلاص من شظف العيش والمحنة التي كانوا يتخبطون فيها . لقد قدم لهم الذهب الخالص دون ان يبذل هؤلاء عناء لمحاولة فهم مصدر هذه الثروة وما هو مفهوم الوطنية والسيادة على موارد ثرواتهم الوطنية ، وما علاقة ذلك بمستقبل اجيالهم القادمة . واطلق هذا الجيل يد الغزاة الاوربيين الامبرياليين على ثرواتهم الطبيعية الهائلة بدون قيود وهم في غمرة الاندهاش مما يقدم اليهم دون عناء او جهد يبذل من قبلهم لتحصيل هذه الثروة الطائلة .

وسادت هذه العلاقات ، بعفوية مطلقة ، بين هذا الجيل والامبريالية

العالمية المتمثلة بالكارتلالات البترولية الجشعة مما اتاح المجال امام الامبرياليين للتغلغل وتثبيت جذورهم في جميع مظاهر حياة الشعب العربي في شبه الجزيرة العربية ، سواء كانت اقتصادية او سياسية او اجتماعية والى احتكار كل ما يعطي قيمة وما هو مصدر ثروة واحكام التسلط والسيطرة على جميع مرافق حياة الشعب .

جيل البترول :

ان تغير الظروف الاقتصادية لدى الشعب العربي في شبه الجزيرة العربية ادى ، مع الزمن ، الى احداث تغييرات جذرية في حياته المعيشية والاجتماعية والفكرية واعادة تركيب الهيكل الاقتصادي والاجتماعي والفكري على أسس جديدة ، الامر الذي هيا ظروفًا عصية جديدة ينعم بها الجيل الجديد منذ لحظة مولده ، وكان ذلك سببا في انقطاع الصلة بين هذا الجيل والظروف المادية والسياسية والحياتية التي عاشها جيل الآباء والاجداد .

وبفعل ديناميكية الحياة واستمرارية التطور اتصل جيل الشباب بصورة مباشرة بروح العصر ، ونهل من المعرفة والعلم الذي توصلت اليه البشرية. وفي ارقى المعاهد العلمية الاوربية الامر الذي جعل الفجوة الفكرية بينه وبين جيل الآباء هي نفس الفجوة التي تفصل بين العرب في جاهليتهم وبين العالم المعاصر في عقد الثمانين من القرن العشرين . وادرك هذا الجيل حقائق الامور وخبايا الواقع وتناقضاته على ساحة الجزيرة العربية . ادرك حقيقة العلاقة الاستغلالية البشعة القائمة بين الجزيرة العربية بشرواتها الهائلة والمستغلين الاوربيين . ادرك عملية النهب والسلب التي تمارسها الامبريالية العالمية لما هو ملك له ، ولقد استوعب ايضا لعبة الاستراتيجية الامبريالية القذرة التي تلعبها على ارض هذه الجزيرة المعطاء .

وهكذا بدا يترسخ ويتبلور عصر النهضة القومية في الجزيرة العربية على يد جيل البترول العربي الذي بدأ يستلم مسؤولياته السياسية

والوطنية غير القابلة للتصرف من جيل الآباء ، الجيل المخترم ، الذي بدأ حياة البداوة والصيد والبحار وانتهى الى القصور وحياة الرفاه والوفرة المادية . وانا على يقين من ان جيل النهضة في الجزيرة العربية مؤهل فكريا وقوميا لحمل رسالة العرب كما حملها اجدادهم قبل ألف واربعمئة عام .

ان هذا الجيل العربي تعتقد عليه آمال العرب بحمل لواء القومية والوحدة والتحرر ، وسيساهم في نقل العلاقات السياسية والاقتصادية، المحجفة بحق العرب ، القائمة بين الجزيرة العربية والامبريالية العالمية الى وضع جديد يستعيد فيه العرب حقوقهم المفتصبة وثوراتهم المنهوبة. انه الجيل الذي سساهم في تحطيم الاصنام السياسيين الذين صنعتم الامبريالية العالمية في الوطن العربي كما حطم المسلمون الرواد اصنام مكة والجاهلية . وسيتوقف على هذا الجيل الدور الرئيسي في تحطيم امبراطورية الامبريالية العالمية ، كما حطم جيل الاجداد الافذاذ امبراطوريتي الروم والفرس ، وحين ذلك سنبنى امبراطوريتنا العربية بوحى من رسالتها الانسانية الخالدة التي ستتصفي على الاستباحة والهوان . انا هنا لانتهم الجيل العربي المخترم ، جيل ما قبل البترول، في عروبتة وقوميته ولكن الواقع العربي الراهن يتطلب ان نتطلى بدرجة عالية من التضحية والعزيمة لاتخاذ القرار القومي الكبير . ولقد شهدنا تمردا قوميا بطوليا رائعا لشخصية سياسية عربية فذة في العقد الماضي هي شخصية المرحوم الملك فيصل . لقد أعلن رحمه الله عروبتة وقوميته على الملا متحديا جبروت الامبريالية المتحكمة والمستعمرة لارادتنا وخيراتنا وقدراتنا اللامحدودة حينما أكد لرسول الامبريالية الامريكية والصهيونية « كينسجر » انه عزم على الصلاة في القدس قبل ان يموت . لقد اغتالت الامبريالية الملك فيصل ولكن رسالته لا بد ان يحملها جيلنا العربي الجديد في الجزيرة العربية . لقد كان عزم واصرار الملك فيصل مبنيا على يقين وثقة بالنفس وبالوطن وخيراته وبالامة العربية لانها هي المبادرة على فرض ارادتها ، اذا ما صممت على ذلك ، واخضاع الاعداء لانها تملك وتمتد الامبريالية العالمية بكل مقومات هذا العصر اللازمة

للصناعة مجاناً وبدون مقابل . ان الامة العربية لا تمد الامبريالية بالبتروول فحسب ولكنها تمده بالمال الذي تقوم عليه صناعاتها الامبريالية العدوانية ايضا . ونشهد اليوم صورة اخرى من التمرد العربي في القطر (ك) وهو محصلة الرغبة بالانعتاق من قيود السيطرة التي تتأصل في نفوس الشباب المثقف والتمرد القومي الابي الذي يتجذر في نفوس قيادة هذا القطر المخضمة بين جيلين .

الامبريالية تعد العدة لمواجهة جيل البترول العربي

تراقب الامبريالية العالمية ، بزعامة الولايات المتحدة الامريكية، بقلق وحذر شديد النهضة الفكرية التي بدأت تسود جيل الشباب في الجزيرة العربية وتعد العدة لحرب المواجهة المقبلة . ان الامبريالية خير من يدرك بالتجربة ان الشعوب وحدها القادرة على فرض ارادتها القومية وسيطرتها على ثرواتها ومقدراتها المسلوبة ولا بد من ان تنجح في استعادة حقوقها واسترجاع سيادتها المسلوبة اذا كانت في وضع يمكنها اتخاذ القرار القومي ، ولن تتوانى امة من الامم عن اتخاذ مثل هذا القرار اذا ما بلغت مرحلة الوعي السياسي القومي الامثل . ان الامبريالية لاشك بأنها تجيد لعبة المجابهة وكسب الوقت وتنفيذ استراتيجيتها ضد الشعوب على مراحل وذلك كمحاولة لتأجيل المواجهة الحتمية والانفجار القومي ما استطاعت اليه سبيلا . ولكن الشعوب هي القادرة بوعيها وصمودها على اجبار الامبريالية على مراجعة استراتيجيتها . واستخدمت الامبريالية الامريكية ، منذ حرب تشرين التحريرية التي قلبت موازين القوى في الوطن العربي ووضعت الامبريالية واداتها الصهيونية في محنة حقيقية ، التكتيك التالي لكبح جماح المد العربي القومي الثوري نحو الوحدة وتحرير ثروات الوطن العربي من سيطرة واستغلال الامبريالية العالمية ، ولواجهة جيل النهضة في الجزيرة العربية :

– العمل على الغاء جميع المكاسب القومية التي حققها العرب في

حرب تشرين ١٩٧٣ .

– اخراج مصر من معركة المواجهة مع الامبريالية والصهيونية وجعلها حليفة لهما واداة تستخدمها الامبريالية الامريكية لقمع الحركات الثورية في آسيا وافريقيا وتزويد الانظمة السياسية العميلة للامبريالية في الاقليم الآسيوي – الافريقي بالاسلحة الامريكية وجعلها معسكرا لتدريب القوى المضادة للثورات التقدمية .

– العودة الى سياسة الحرب الباردة ووضع الوطن العربي على حافة حرب بتنفيذ ما يلي :

– التواجد العسكري الامريكي في الوطن العربي وحشد قواتها العسكرية في قواعد بحرية وبرية تشكل حزاما عسكريا يطوق الوطن العربي ، وتتواجد على الارض العربية في البحرين ، قطر ، وعمان ، والسعودية ، والصومال ، والسودان ، ومصر ، وترتبط بقيادة مشتركة تتمركز في فلسطين المحتلة .

– تطوير مصر الى قاعدة عسكرية مركزية للقوات الامريكية وذلك ببناء اكبر قاعدة عسكرية امتلكتها الامبريالية في العالم الثالث وتقع على خليج السويس وتستوعب جيشا تبلغ قواه اكثر من ٢٥٠ الف عسكري امبريالي اطلق عليه « قوات التدخل السريع » مهمته قتل وخنق الحركات القومية الوطنية في الوطن العربي حتى قبل ان تولد .

– تشكيل حلف معن من اسرائيل والنظام المصري بزعامة الولايات المتحدة الامريكية وبتعهداتها بتزويده بكل اسباب الدمار والسيطرة التي تتطلبها المهمات الخبيثة الموكلة الى هذا الحلف الدنس .

– حشد الاسطولين الامريكيين السابع والسادس في مياه الخليج العربي ، وبحر العرب ، والبحر الابيض المتوسط وربطهما بقيادة الاساطيل

(١) انظر دراسة لكاتب هذا البحث نشرت في مجلة المناضل بعنوان « الولايات المتحدة والاحلاف العسكرية » .

الحربية الأمريكية المتواجدة في المحيط الهندي (مانيل - الفلبين) وذلك لاستكمال طوق السيطرة والاحكام على الوطن العربي .

– تقوية اواصر العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا ، الكيانين العنصرين ، كاداة للارهاب والقمع تستخدمها أمريكا لربط مشاريعها الاستغلالية والاستعمارية في القارتين الافريقية والآسيوية معا مستخدمة بذلك جميع الاساليب المتاحة بوقاحة وبدون حياء ، وسواء كانت تلك الاساليب عنصرية او همجية بربرية ، مشكلة بذلك حلفا ارهابيا لم تعرفه البشرية عبر التاريخ .

– اثاره حروب اقليمية طائفية في داخل الوطن العربي امعانا في سياسة التمزيق والتشتت والتشريد الاقليمي والبشري .

– شن حرب اقتصادية ضد الامة العربية ذي حدين تحقق لها الاهداف التالية :

١ – ابقاء الوطن العربي في تخلفه العلمي والتكنولوجي والاجتماعي والاقتصادي وذلك بحرمانه من موارد ثرواته الطبيعية ، البترول خاصة، بنهب هذه الثروات دون مقابل ومدته بما يلهي حكامه الاسمين .

٢ – ان الامبريالية الأمريكية هي التي اوجت برفع سعر البترول الى ما هو عليه الآن لان المبالغ المدفوعة من قبلها الى العرب تكون نسبة جدا محدودة من القيمة الاسمية الكلية تحدد بقرار امريكي سياسي وتحتفظ بالمبالغ الرئيسية الباقية التي تبلغ أكثر من ٨٥ بالمائة من القيمة الكلية ، لان هذه المبالغ الطائلة مجرد ارقام مسجلة لدى البنوك الأمريكية غير قابلة للتحويل الى سيولة نقدية ، سواء كانت الاصول او الفوائد ، لان الاقتصاد الرأسمالي بكامل طاقته يعجز عن توفيرها ويستحيل دفعها لاصحابها العرب الشرعيين . وتمارس أمريكا برفع سعر البترول هذا سياسة تأديبية واستغلالية ضد حلفائها الاوربيين الغربيين الذين رفضوا الانصياع ، بزعامة « ديفول » لاوامر الرئيس الأمريكي « نكسون » في

العام ١٩٧٢ للمشاركة في نفقات القوات العسكرية الامريكية المرابطة في اوربا ونفقات حلف الاطلسي . وتدفع اوربا الغربية ثمن بثرونها المستورد من الوطن العربي الى الشركات الامريكية التي تودع تلك الاموال لدى البنوك الامريكية .

— ان الامبريالية الامريكية هي المستفيدة الوحيدة من الاموال العربية اللامحدودة بتحويلها الى قواعد عسكرية وعلى ارض عربية ، والى اسلحة دمار نووية وتقليدية لتهديد المعسكر الاشتراكي من جهة واحكام السيطرة على الوطن العربي من جهة اخرى . ان الامبريالية الامريكية تقاتلنا باموالنا العربية وتستقلنا وتستعبدنا وتحكم السيطرة علينا ، باموالنا العربية اقامت امريكا قاعدتها الصهيونية في فلسطين العربية التي شادت مفاعلها النووي وانتجت حتى الان ما يزيد عن (٦٠) قنبلة ذرية ، واشترت الطائرات والصواريخ الامريكية التي تقتل اطفالنا وتستبيح حرماننا وسيادتنا وتمنعنا من بناء صناعاتنا العسكرية ونختار بديمقراطية انظمتنا السياسية القومية الثورية التقدمية الوحدية .

— ولم تكتف امريكا بهذا الحزام الاستراتيجي بشكليه الاقتصادي والعسكري الخانق لوحدتنا وحررتنا كعرب ولكنها استخدمت جيشا اجنبيا ، بقرار سياسي صادر عن حكام عرب ، يعيش بين شعبنا العربي ويتواجد تحت كل حبة رمل من صحرائنا العربية جندي غازي من هذا الجيش . ان المشاريع الاقتصادية الوهمية التي تضمنتها خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية في اقطار البترول العربية استندت بالضرورة وبحكم الهدف من وضع هذه الخطط استقدام عمال لتنفيذها . وبما ان الامبريالية بقراراتها المزيفة للقرارات السياسية العربية الاقليمية تحرم على العمال العرب التواجد في مناطق النفوذ الامبريالي الا نسبة معينة قد لا تتجاوز خمسة بالمائة فكان لا بد وان تستخدم عمالا غير عرب لتنفيذ مشاريع التنمية . وهكذا نجد ان (٧٠٠) الف عامل كوري جنوبي دخل المنطقة العربية خلال عامي ١٩٧٧ و ١٩٧٨ .

ان شعبنا العربي في الجزيرة العربية هو اعلم بحقيقة هؤلاء العمال اذ انهم جيش امبريالي كامل بعدته وعديده تستخدمه الامبريالية الامريكية كقوة عسكرية خانقة لتأديب الشعب العربي اذا ما حاول التمرد والتحرر ، وكقوة عسكرية جاهزة للسيطرة على الوضع . ان هذا الجيش البشري العرم له معسكراته الخاصة التي تحرم على الحكومات المحلية دخولها او الاشراف عليها . معسكرات كاملة التجهيز بمختلف صنوف الاسلحة . واذا ما أخذنا بعين الاعتبار ان مجموع عدد الجيوش العربية في الجزيرة العربية لا يتعدى الخمسين الف عسكري وهي بتكوينها جيوش حراسة للقصور وللعائلات الحاكمة اسقطنا كليا الامل في القدرة العسكرية لهذه الاقطار ، في ظروفها الراهنة ، على المقاومة والافلات من هذا الكابوس الارهابي الذي تسلطه امريكا على شعبنا العربي وبالتالي على الوحدة والثورة العربية .

الوحدة العربية ضمان لامن الوطن العربي

تواجه الامة العربية قدرا محتوما ومصيرا مشتركا يتحدد بمحض اختيارها ، وهي القادرة على اختيار حريتها وامنها باختيارها الحرب الشاملة للقضاء على العوامل الداخلية والخارجية ، موضوع بحثنا ، التي تكرر التجزئة والتخلف لتحقيق الهدف الكبير وهو الوحدة العربية .

ان الحقد واللعنة والنقمة الامبريالية - الصهيونية تطال وتلاحق كل مواطن عربي وكل شبر من الارض العربية ولا امن لقطر دون آخر في ظروف التجزئة والتخلف والانسحاب من المواجهة المحتومة .

ان الامة العربية جديرة بالانتصار في حربها الشاملة فيما اذا استعادت حريتها المسلوبة وحررت انظمتها السياسية من عبودية وتسلط الامبريالية فهي تحرر بذلك قراراتها السياسية القومية من قيود اعدائها، ولا بد ان تقف حين ذلك على طريق الثورة والنضال الشامل .

ما هي الوسيلة اذن لتحرير الذات والارادة السياسية العربية ؟ ؟

ان الوسيلة تكمن في الاجابة على السؤال الكبير التالي :

هل نرفض السيطرة الامبريالية كأمة ؟ ؟

ان الاجابة « بنعم » تعني :

- اعلان الثورة والحرب العربية الشاملة ضد الامبريالية بهدف تحقيق الوحدة العربية .

- اعتماد الديمقراطية أساسا لاختيار النظم السياسية العربية واجهزتها الشعبية ، لأن الديمقراطية هي الانسان الحر المتحرر من قيود الجهل والذل والرق ، بل هي الثورة الحقيقية القادرة على التغيير .

- ان يسحب العرب أموالهم من البنوك الامريكية الا ان سحبها يتطلب قرارا سياسيا له قوة الاسلحة الذرية والاساطيل النووية التي توجهها الامبريالية الى نحر الامة العربية والبديل المنطقي ان يؤمم العرب جميع الشركات الامبريالية العاملة في الوطن العربي او التوقف كليا عن استخراج النفط .

وليس هناك اداة اكثر فاعلية وقدرة على اتخاذ هذا القرار من « الشعب » مصدر القوة المطلقة وصاحب المصير وصانع مستقبل اي وطن واي امة من الامم ، وهو الحل الشامل للمتاهات التي تعيشها الامة العربية . وما احوج هذه الامة الى قائد ثوري قومي وحدوي في كل قطر من اقطارها ، ولن يولد هذا القائد الا اذا كان كل مواطن عربي ذلك القائد .